

الكبرياء.. أيام سعد الدين الشاذلي

قبله السادات، وتم سجنه ونفيه عمدا مع سبق الاصرار، وهو الذي طالب بمحاكمة تاريخية علنية لمعرفة من الجاني والمجني عليه في ثغرة الدفرسوار التي وقعت أيام حرب أكتوبر وغيرت موازين القوى، هذه ليست حكاية مقاتل مصري وعربي اسمه سعد الدين الشاذلي، لكنها بانوراما لتاريخ عسكري عريض، وأوراق يتم كشفها لأول مرة حول حرب فلسطين 1948، وثورة 1952 وتنظيم الضباط الأحرار، في هذه الحلقات نعوض في تواريخ وأحداث وحروب وأسرار ووثائق وشهادات أبطال كبار زعماء قادة العسكرية في مصر خلال عدة عصور. وفيها نقول كلمة حق، أو هكذا نسعى، لتعرف الأجيال الجديدة أن حرب 73 لم تكن مصرية فقط بل كانت مصرية بامتياز شهادة رائعة في التكاتف العربي الذي يستطيع أن يقهر المستحيل.

حلقات الكبرياء.. رحلة إنسانية في فن صناعة الرجال والأبطال:

لماذا قصة الفريق سعد الدين الشاذلي الآن؟!.. لأن فيها الكثير من الأسرار والحكايات كانت محجوبة ومستورة بفعل فاعل وسنجد أن عنوانها المناسب والوحيد هو «الكبرياء».. ماذا يهم القارئ العربي من المحيط إلى الخليج في مثل هذه القصة؟.. الحقيقة يهيمه الكثير وسيكتشف فيها ما لم يعرفه من قبل، لأن حكاية الشاذلي لا تخصه فقط كبطل مصري لأن عروبته هي سر نجاحه وعنوان تميزه وقد دفع ثمن إيمانه العميق بالبعد العربي في أحرح الأوقات خاصة بعد اتفاقية «كامب ديفيد» عندما وقعت القطيعة، وبسبب هذا الموقف ابتعد عن العمل الدبلوماسي وارتضى لنفسه أن يعيش منفياً في الجزائر لمدة 14 عاماً، فكانت له مع أهلها وقادتها عشرات القصص السياسية والإنسانية، وله مع دول الخليج «حواديت»، ومع اليمن، والعراق، والسودان، والمغرب، وفلسطين. تلخص مسيرة الفريق سعد الدين الشاذلي، كل الحروب العربية، ولسنا هنا بصدد حكاية بطل ظلمه نظام مبارك ومن



حلقات يكيتها - سمير الجميل

السفير يهاجم الرئيس.. نبوءة مبكرة بمؤامرة «كامب ديفيد»



السادات دخل الحرب من أجل «كامب ديفيد»



الشاذلي لدى وصوله قصر الخارجية البريطانية لتقديم أوراق اعتماده سفيراً

نفسه الوزير الذي سيعلمن استقالته المدوية بعد كامب ديفيد. وفي لقاء مع التلفزيون البريطاني انتقد الشاذلي رحلات كيسنجر المكوكية بين مصر وإسرائيل، وطالب بأن يأتي الحل من جنيف وعدم هيمنة أمريكا على الحل السلمي. ثم استطاع الشاذلي أن يكسب احترام المجتمع البريطاني في مواجهة جرت بينه وبين السفير الإسرائيلي واشترط أن يكون كل واحد منهما في مكان بعيد عن الآخر وكأنه بهذا الحديث رد المكائد التي دبرها اللوبي الصهيوني كلها وعلى حساب سفير الصحاينة نفسه.

ومن داخل السفارة نفسها تأتي شهادة لرجل له وزنه وقيمته وهو المفكر والدبلوماسي الشهير مصطفى الفقي، وقد نقلت هذه الشهادة عن كتاب مصطفى عبدي «العسكري الأبيض»، يقول الفقي:

عندما تسلم الفريق الشاذلي عمله في السفارة استقبلناه بقلق شديد ومخاوف مبررة، فالرجل معروف بصرامته العسكرية وقد لا تكون ادارته لبعثة دبلوماسية كبيرة على هذا النحو المطلوب ولكنها فوجئنا بعسكري مصري مشرف يتحدث بلغة انكليزية طليقة تفوق في جودتها عشرات السفراء المدنيين وبحسه الدبلوماسي تنبأ لوزيرة التعليم البريطانية بأنها ستكون في الصدارة وقد كانت بالفعل بعد سنوات وأصبح اسم مارغريت تاتشر يتصدر المشهد السياسي العالمي بأكمله وعرفت بالمرأة الحديدية لذلك دعاها هي وزوجها إلى عشاء رسمي بالسفارة كما دعي «أسقف كاتثري» ومعه كبار شيوخ الأزهر في المركز الإسلامي وهو تفكير ينم عن سعة الأفق والفهم البعيد لمسألة الوحدة الوطنية وتقديم صورة راقية عن الإسلام وسماحته وقد ساهم في نشر الإسلام بصورة جيدة في انكلترا.

وهكذا تحول منفي الشاذلي الدبلوماسي إلى نجاح مدوي لشخصه وبلده وعروبته واسلامه، كان الهدف إبعاده وكانت النتيجة اقتراحه أكثر من مهم وقضايا بلده في قلب انكلترا حتى أصبح عميداً للسفراء العرب في لندن خلال زمن قياسي، وأقام أنشطة عديدة، ونجح في قلب السحر الصهيوني على الساحر، وأن يكسب احترام العدو قبل الصديق في عاصمة الضباب.

كان هناك عن بعد ينظر إلى مصر الحبيبة بعين القلب والعقل وهو نفس منهجه كرجل عسكري يعرف ماله وما عليه وبدلاً من أن تأتي المكافأة من السادات للشاذلي الدبلوماسي بعد أن أبى واستكبر أن يقدمها للشاذلي البطل العسكري جاءت هدية أخرى من السادات على لسان إسماعيل فهمي وزير الخارجية: يا سعادة الفريق مصر تقدر نجاحك الكبير في لندن في هذا الوقت الضيق وتتمنن جهداً عظيماً، لذلك قررت تعيينك سفيراً في البرتغال!

البرتغال!!! قالها الشاذلي مندهشاً ومتعجباً، وكانت المبررات السلطة هناك في البرتغال عسكرية وأنت بخلفيتك العسكرية تستطيع أن تتعامل معها.

لم يكن في البرتغال جالية مصرية بالمعنى الذي يدعو إلى وجود سفارة تقوم على خدمة هؤلاء، ولو أن السفارة مطلوبة في كل مكان وفي كل وقت، ولا حظ أن التوقيت تم في لحظات مناسبة، حيث قامت الثورة في البرتغال عام 1974 وقررت منح الدول الأفريقية التي كانت تحتلها استقلالها، لذلك قررت مصر إعادة العلاقات الدبلوماسية معها، وأن يكون الشاذلي هو المفتاح فهل يقبل هذا الإبعاد الجديد وهذا المنفى الدبلوماسي المصنوع خصيصاً لأجله، فالدولة كانت من الممكن أن ترسل سفيراً جديداً بجيد البرتغالية، لكنها اختارت الشاذلي دون غيره، ووراء الحكاية ألف حكاية وحكاية!

التي سيفوز بها من خلال المنصب، لكنه من داخله يدرك أن السادات يترخص به ولن يتركه في حاله وهو لا شعورياً يشعر بالظلم والأضطهاد مهما قدموا له، ولكنه في ذات الوقت يؤمن بشكل قاطع أن يؤدي عمله في أي موقع على أتم وجه، والأ بخفي الحقيقة، والدبلوماسية تلعب بكل الأوراق، وقد تلعب على عدة حبال ولها مبرراتها ويبدو أن الصحافي المخضرم اللبناني سليم اللوزي كان يعرف هذا جيداً وكان وقتها رئيساً لتحرير مجلة «الحواديت» اللبنانية وتحدث إليه الشاذلي بصراحته المعتادة وقال إن هناك مؤامرة تدبر لعزل مصر عن الأمة العربية مع ملاحظة أن هذا الحديث جرى في عام 1974، والمقاطعة العربية لمصر جرت بعد معاهدة كامب ديفيد في عام 1979، أي أنها كانت نبوءة مبكرة جداً تكشف الحس السياسي لهذا الرجل العسكري وقد جاء ذلك بعد أشهر قليلة من توليه مهام منصبه كسفير.

وتحدث عن الثغرة وضرورة تنويع السلاح وبعدها بايام التقى مع مجموعة من الطلبة العرب وأكد مجدداً على وجود تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

تيار داخل مصر يريد عزلها عربياً.

كان السفير الشاذلي يحارب اللوبي الصهيوني فهو ينظر إليه كواحد من أبطال أكتوبر الأفاضل الذين حملوا أسطورة الغرور الإسرائيلي وتفوق جيشه اللامحدود، ولأنهم يعرفون جيداً دور هذا الرجل أكثر من غيره في التخطيط والاعداد للحرب، ثانياً عندهم ملف قديم بتعاونته وصداقته وقت أن كان ملحقاً عسكرياً مع الأحزاب المعادية للصهاينة والمساندة للقضية العربية، وعلى جانب آخر كانت حربه مع السادات لم تتوقف، يكفي أن الشاذلي وهو بطل الحرب شاهد تكريم القادة تليفزيونياً في مجلس الشعب على يد السادات وتم تجاهله تماماً ولو حتى يذكر اسمه، لكنه للامانة أرسلها إلى الملحق العسكري لكي يقدمها للسفير سراً.

فاصل وتواصل

في مذكرات المشير الجمسي نكتشف أمراً في غاية الأهمية، هو عبارة عن قرار يقانون رقم 35 لسنة 1979 لتكريم قادة القوات المسلحة خلال حرب أكتوبر والاستفادة من خبرات الأحياء منهم وجاء في مذكرة القانون: «أن الدول العريقة في الجندية وأصولها تكريم قادتها العسكريين الذين حققوا لها النصر في الحروب المصرية لأوطانهم بأسلوب يتناسب مع عظمة أعمالهم ويعكس مدى وفاء وتقدير شعوبهم لبذلهم وعطائهم وهناك الكثير من الأمثلة في الدول الكبرى غربية كانت أم شرقية على تقدير وتكريم كبار قادتها وأبطال حروبها والاستفادة بخبراتهم مدى الحياة، وبالنسبة لمصر فقد كانت حرب السادس من أكتوبر 1973 نقطة تحول تاريخية على المستويين الوطني والقومي وكانت أول مواجهة حقيقية خلال مراحل الصراع العربي الإسرائيلي بين الجيوش العربية والجيش الإسرائيلي ومهدت نتائج هذه الحرب الطريق أمام تحرير الأرض العربية المحتلة وتحقيق السلام القائم على العدل في المنطقة العربية وقد رقي اقتراح مشروع القرار بقانون تعبيراً عن شكر الشعب وعرفانه للقوات المسلحة وقادتها خلال حرب أكتوبر ويهدف هذا القانون إلى جانب تقدير وتكريم قادة هذه الحرب الظافرة إلى تحقيق وضع خبراتهم النادرة في خدمة القوات المسلحة والدولة مدى حياتهم وهي الخبرة التي اكتسبوها خلال خدمتهم الطويلة بالقوات المسلحة، حيث عاشروا نشأتها الحديثة والتطورات التي طرأت عليها والمعارك المتعددة التي خاضتها وقد توجت هذه الخبرة بما اثبتوه من قدرة عالية في فنون القيادة والقتال خلال عمليات حرب أكتوبر وتحملهم أعباء مسؤولياتهم الجسام أثناء الاعداد للقوات والتخطيط للعمليات وأثناء إدارة أعمال القتال بكل الكفاءة والافتقار.

ويقضي القانون بأن يستمر الضباط الذين كانوا يشغلون وظائف رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وقادة الأفرع الرئيسية في حرب أكتوبر في الخدمة بالقوات المسلحة وأن يقوم هؤلاء بتقديم المشورة وإبداء الرأي عندما يطلب منهم ذلك في الموضوعات العسكرية ذات الأهمية الخاصة»، وصرح القانون بالفعل ولكنه لم ينفذ، بل على العكس رأينا العقل المدبر للحرب يهان ويتم اماله وتجاهله في التكريم والتقدير، مع ملاحظة أن مشروع القانون يخص رئيس العمليات ولا يذكر رئيس الأركان وهو المنصب الذي كان الشاذلي يشغله، والقانون صدر بعد توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وقد عارض الشاذلي هذه الاتفاقية.

المواجهة

وافق الشاذلي أن يكون سفيراً وهو لم ينكر المزايما العديدة

كانت المسألة معدة سلفاً وعلى أعلى مستوياتها، وأخذت وسائل الإعلام علماً بأن الشاذلي عاد إلى لندن سفيراً لبلاده هذه المرة وبعد معركة أثبت فيها أن للعرب قوتهم إذا ما تم التخطيط والاعداد بالأسلوب العلمي الجاد.. احتشد حول الشاذلي كوكبة من الصحافيين يمطرونه بالأسئلة وأغلبها يصب في اتجاه واحد:

السفارة نفسها ما هي حقيقة اتهامك بقتل الأسرى الإسرائيليون خلال حرب أكتوبر؟

وكان جوابه بكل الثقة والهدوء والالتماس التي هي علامة من علامات وجهه في أغلب الأحوال:

شرفي العسكري ومعتقداتي الدينية تمنعني من هذه الأفعال غير الإنسانية، وأنا انتهز هذه الفرصة أمامكم جميعاً وأطالب بلجنة تحقيق دولية لكشف هذه الأكاذيب أمام العالم كله:

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد من الهجوم والانتهاكات للشاذلي لكنهم نشروا كتيباً كان قد وزعه خلال الحرب وعنوانه «عقيدتنا الدينية طريقنا إلى النصر» واقتطعوا منه بعض الآيات القرآنية التي تحض على القتال واعتبروها تحريضاً لقتل وسفح دماء اليهود.

واستغلت وسائل الإعلام البريطانية حادثة سرقة نذتها سيدتان مصريتان من محل يهودي في نشر أخبار محرقة بأن حرم وزير السياحة المصري وحرم السفير منتهتان بسرقة المحل التجاري وأقام الشاذلي دعوى ضد الإذاعة البريطانية وحصل على حكم باعتبارها، واعتذرت بالفعل.

إبعاد مدروس إلى لندن حيث التهمة جاهزة: أنت مسؤول عن قتل أسرى إسرائيل!

الفريق تنبأ بمستقبل سياسي مهم لمارغريت تاتشر.. وهكذا كان

قانون مد خدمة القادة العسكريين الأبطال مدى الحياة نسي اسم الفريق سعد الدين الشاذلي

رئيس أركان نصر أكتوبر لم يكرم أمام البرلمان.. إنه انتقام السادات